أبو الهول: النوم على رأس عمله

أحمد عمر

هذه بلادٌ كبيت العنكبوت، يمكن لخبر أن يقوّضها أنكاثاً.

أعلن أحد كبار مذيعي شركة السيسي لبيع مصر بالمفرّق غضبه من إشاعة انتشرت عن أبو الهول في أثناء الدوام الرسمي، وظهر من صباحه أنه غائر على مصر وحارس الأهرامات، ومذيعوه غاضبون مثل ذكور الإوز، وهم أبطال المشهد السياسي، والخبر أنّ هاوياً من هواة الصور ضبط أبو الهول وقد أطبق جفنيه، فصار «ترند» على وسائل التواصل الاجتماعي، فقد قضى أبو الهول حياته من غير أن يرفَّ له جفن. والأمر لم يعدُ كونه طرفة، وخدعة تصوير، وقيل إنها زاوية تصوير جعلت أبو الهول يبدو نائماً فهو مثل السيسي لا ينام، ولم يكذّب النظام خبراً، فحاول الاستفادة منه، وذكرت الأخبار أن المصريين انشغلوا بالخبر لأنهم ينتظرون علامات الساعة، وربما تذكّروا بعض لعنات الفراعنة، وربما شعروا أن أبو الهول فاض به الكيل من التعب والجوع، فخلد إلى النوم في هجعة القيلولة، أو أنه يئس من الحراسة فمصر تباع بالمفرّق. وقيل فترة غير بعيدة، رأينا خمسة عشر مخبراً يلحقون بسائح أميركي، اسمه شاكون، في شوارع القاهرة، خفافاً وثقالاً، مع أن الناس كلهم مدججون بالهواتف المصوّرة، كانوا مذعورين من أن يلتقط صوراً لأم الدنيا حاسرة الوجه. وقبل حادثة شاكون جرى توقيف يوتيوبر أميركي اسمه أليكس؛ وهو يوتيوبر طعام، لكن المخابرات المصرية خافت من كشف أسرار صناعة الكعك، أو منافسة محتملة في سوق الأطعمة الحربية، فأوقف واقتيد مخفوراً وصادروا آلاته ومسحوا من ذاكرة هاتفه الصور الجميلة التي التقطها للمصريين مع رغيفهم الصغير، الذي تقلص بالحرارة، مع أن المعادن والأشياء تتمدّد بالحرارة، مع أنه سبق أن حصل على إذن بالتصوير من وزير الداخلية.

وهوجمت مطربة شهيرة، موالية، ويصعب العثور على مطرب معارض، هي شيرين، ورُفعت ضدها دعوى، لأنها حذّرت مواطنيها من شرب ماء النيل من غير تعقيم. وكان تحذيرها يستوجب التكريم والإشادة، لحرصها على صحة شعبها، فبكت بدموع سجام، واعتذرت، وضربت للسيسي التحية العسكرية وغنت له أغنية قبل النوم، لكن السيسي مثل أبو الهول لا ينام.

ويمكن تأويل غضب النظام المصري ورجاله الميامين من قول المطربة شيرين، فإما غيرة على النيل الذي شحّ وقلّ وبات سمعته في خطر، أو خوفاً من أن ينتصح المصريون بتحذيرها، فيتوزّعون عن شرب ماء النيل فتقلّ أمراضهم ويكثرون وينجبون، والسيسي ضائقٌ ذرعه بكثرتهم وتناسلهم، فهو عاجزٌ عن إطعام مزيد من الأفواه والأرانب. والشأن كذلك في سورية، وقد شاعت تهمة تومين نفسية الأمة وإضعاف الشعور القومي في حقبة الرئيس الجونيور، وهي تهمةٌ تُلصق بمن يسارع إلى تنظيف حبّه، مع أن سورية محتلة موهنة، ولم تعد تذكر العروبة في خطب قادتها وخطبائها وهي محتلة من عدة دول، مثل أميركا وروسيا ودول أوروبية، ومجموعات مقاتلة من شتى بقاع الأرض، وشعبها يعاني من الجوع والخوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، فما سبب كل هذه الغيرة المجنونة على الأوطان المقدّسة. نعلم أن السيسي هدّد «أي حد يقرّب من الكرسي ده». وكلما كثرت المقدسات زادت الحرّمات، ويعرف المصريون والسوريون أن الرئيس مقدّس، وهو الشجرة المحرّمة في الوطن، القاعدة الفقهية المعروفة: الأصل في الأشياء الإباحة صارت: الأصل هو التحريم، وقاعدة «أدرأوا الحدود بالشبهات تحوّلت إلى نقيضها وهو اعتقلوا بالشبهات». قد يظن الظنين أن هؤلاء يغارون على ذخائر مصر وآثارها وهم يبيعونها، وكان السادات يهدي الآثار إلى الرؤساء، تقرّباً منهم، وكأنها ملكه، أغلب الظن أن السيسي ينوي بيع أبو الهول، ولا يريد أن تشاع عن أبو الهول إشاعات تخفض سعره في السوق... هو لا ينام.

في هذه الآونة، جرفت الجرافات مقبرة الأديب طه حسين لبناء جسر باسم الصحافي ياسر رزق، وكانت قد جرفت من قبل مقبرة الإمام العزّ بن عبد السلام وآل الدراملي بأستيكة.

ميسون صقر... صانعة الفرح لغيرها

عبد الحكيم حيدر

لا تصدّقوا ميسون إن أبحرت في السياسة ودعايتها ودروبها الوعرة أحياناً، رغم أنها ابنة سياسَة، ودفعت أسرتُها الثمن غالياً. ولكن صدّقوها فقط حينما تصنع الفرح، ميسون صانعة فرح من دون أن تحصده، وصانعة بهجةٍ في وسطٍ ثقافي، حرمته الكآبة من البهجة لأسباب يطولُ شرحها، وساقية فرح من دون أن تنال غايته. هي هكذا، والحب هكذا، والقدر هكذا، مثابرة في الفن والكتابة معاً، ومحبّة للجميع في كل أطراف وطنها العربي.

ثابرت حتى حصدت فرحها الخاص، وهو جائزة الشيخ زايد للكتاب عن كتابها السردي «مقهى ريش .. عين على مصر»، جهد المثابرة والطواف في طرائق الفن والكتابة سنوات، من شعر «كبداية» إلى التشكيل إلى الرواية، حتى بات النثر في سنواتها الأخيرة واحتها، حتى كتابها الذي استحقت عنه أخيرا الجائزة.

حينما قرأت لها روايتها الأولى «ريحانة»، أدركت أن روح ميسون قريبةٌ من النثر، حتى كانت «في مهى لؤلؤة»، ثم كتابها الجديد. يظل الكاتب يحرس أمنياته ويريّبها سنوات حتى يعثر على مفتاح كنزه، وتظل كل الطموحات الأخرى في الكتابة والفن والحياة ما هي إلا مجرّد استكشاف أولية للبحث عما سوف يكون، هل عثرت ميسون على مفتاحها في السرد أخيرا، أم هناك محطّات أخرى؟

تكتب ميسون بروح الهواية والشغف والتطلّع والمثابرة، لا بروح المنافسة أو البحث عن جدارة أو مكانة، وعلّ ذلك قد حرّرها من عبودية التجنيس الأوحد أو النمط الأثير، ولكنها عاشت شغفها شعرا ونثرا وسردا من دون أي ارتباك أو مراهنات في «الصنعة الخانية».

حاولت في كتابها عن مقهى ريش أن تدخل إلى ذلك السرداب الخاص بمقهى كان من أيام ثورة 1919 المصرية يعيّن ضيفةً نالت من الحضور والمحبّة في مصر على قدر بساطتها، كتابة تفتش في سرداب المكان وشخصياته الذين مرّوا به من النخبة المصرية، فهو مقهى أيقونة، بناسه، وللناس في المكان المغلق عليهم، وعلى أحاديثهم ومنشوراتهم السياسية سحرٌ خاص، يحرّض على فك اللغز أو محاولة الاقتراب منه لصنع كتابة. ولا ننسى أن رائعة نجيب محفوظ «ثرثرة فوق النيل»، كانت عن أسرار وسعادات وخروجات عوامة في النيل يمتلكها المخرج الراحل أحمد بدرخان (والد المخرج علي بدرخان). وحينما سئل محفوظ عن الرواية، أجاب بخفّة روح ومراوغة وتهرب، وقال: «هي العوّامة بلا خمر ولا نساء»، فالمكان المغلق بالمشاهير مفتوحٌ دائما على كل ألوان الغموض والتفاسير، وهو أيضا السرداب الذي يحلو دائما للكتابة أن تدخل إليه محمّلة بشجونها وغموضها، كبيت السعادة واللهو عند الطاهر وطّار في روايته الجميلة «عرس بغل»، ومحفوظ نفسه في فندق ميرامار في روايته «ميرامار»، والقائمة تطول إلى «بيت الياسمين»، عند إبراهيم عبد المجيد التي أعدّها من أجمل رواياته وكتاباته. ولكل كاتب «راثحة» يلهث خلفها، وهذا «مقتل» أيضا ولا مكان هنا لتفسيره أو تفسير دواعيه وأطماعه، فنحن هنا أمام حالة فرح بميسون وحصولها على جائزة كبيرة، نحن نحتفي بذاتٍ كانت معنا «جيلنا»، لم تمش وراء صرعة «تراث»، أو إرباك نفسها بوجبة غموض سخيةٍ وساخنةٍ وجاهزة، كي تحيّر القارئ أو تشاغل الناقد. كتبت عما تعرفه وتريده من دون ارتباك أو عجز، في ثلاثية نثرية خلال عشرين سنة، وهي «ريحانة» و«في فمي لؤلؤة» و«مقهى ريش .. عين على مصر»، وهذا حدث رائع، يعبر بجلاء عن فرحة كل محبّي ميسون من المحيط إلى الخليج، وهو استحقاقٌ جميل، لها ولنا، جاء بعد طول مثابرةٍ وصدقٍ منها.

الجنسية والإقامة: لماذا تتغير التشريعات التركية؟

هدى الفاتح

حظيت تركيا بسمعة طيبة خلال العقد الماضي، حين استضافت ملايين السوريين إثر اندلاع الحرب. مقارنة بوضع اللاجئين السوريين في دول الجوار القريب، كانت أوضاع السوريين في تركيا جيدة، حيث فتحت أمامهم سبل الاندماج الاقتصادي والاجتماعي، ووجدوا حرية الحفاظ على ثقافتهم في الأكل واللباس، واستخدام لغتهم العربية، على الرغم من حساسية الاتراك العرقية وافتخارهم المعروف بلغتهم. قد يكون هذا كله معلوماً للمتابعين، فحتى الزائر العابر يمكنه أن يشاهد بوضوح كيف تلوّنت تركيا بهذه الأعداد الكبيرة التي أضافت الكثير لثقافتها حاملة الازدهار لمجالات جديدة ابتداءً من السياحة والتعليم العالي، وحتى سوق الترجمة والاستثمار العقاري، في وقت كانت فيه البلاد في أمس الحاجة لذلك، وهي تتبع سياسة الانفتاح على العالم العربي. ما قد يكون معلوماً بشكل أقل حقيقة أن تركيا لا تستضيف السوريين فقط، ولا عرباً آخرين متحدرين من جنسيات أو خلفيات ثقافية وسياسية معينة، وإنما أيضاً، وبفضل سياسة الباب المفتوح التي ظلت أنقرة تتبعها على الأقل منذ عقدين، أصبحت البلاد مكاناً جاذباً لإقامة الآف ممن يختارونها لأسباب اقتصادية أو سياسية أو غيرها، وخير دليل على ذلك فتح تركيا أبوابها، أخيراً، للأوكرانيين الذين اختاروا الإقامة فيها، ما أوضح أن تركيا لمن يقصدها، وأنها لا ترحّب فقط بمن ينتمي لديانتها الغالبة أو ثقافتها، مثلما فعل الأوروبيون الذين اعترفوا بأنهم يعاملون الأوكرانيين بأفضلية لأنهم شقر أو مسيحيون.

تركيا بلد سياحي، وهذه الحقيقة مؤثرة جدًا على مسار التشريعات والقوانين، ففي العام 2019 ، وقبل جائحة كورونا، حازت تركيا المرتبة السادسة عالميًا في مجال السياحة بعدد سياح يفوق الخمسين مليون نسمة. وتنافس تركيا غيرها من الوجهات السياحية من خلال تبسيط إجراءات التأشيرة بالنسبة لغالبية الدول، حيث تعد تأشيرتها سهلة المنال مقارنة بالتأشيرات الأوروبية أو حتى تأشيرات الوجهات السياحية العالمية الأخرى. كما تعتبر إسطنبول، أو غيرها من المدن التركية، وجهة سفر مناسبة لأصحاب الميزانيات المتوسطة، حيث تكاد تكلفة الإقامة فيها تساوي نصف نظيراتها في الدول الأوروبية أو ثلثها.

لم تتساهل التشريعات التركية فقط في مسألة منح التأشيرات لتسهيل السياحة، ولكنها ابتكرت ما تعرف بالإقامة السياحية، والتي يتمتع صاحبها بإقامة طويلة عاما أو عامين، تسمح له بالدخول والخروج إلى البلاد من دون التفكير بالتقدم مجدّداً لتأشيرة جديدة، حيث تجدّد الإقامة بشكل تلقائي في حالة تقديم عنوان سكن. وكثيراً ما كان الناس يلجأون لعناوين غير صحيحة، من أجل استكمال الإجراء، كما أنه كثيراً ما كان هذا النوع من الإقامات يستخدم وسيلة للبقاء، ومن ثم البحث عن عمل، على الرغم من أنها لم تكن تأذن بذلك. يمكن أن نتخيل هنا ما سبّبه ذلك من تكدّس في أعداد المستفيدين الذين أصبحوا من المقيمين، والذين لا يفضل أغلبهم فقط أن يقيم في إسطنبول، وإنما يفضلون أحياء معينة فيها، وهو ما أدّى إلى أن تزدحم هذه الأحياء بالناس، أو أن تصبح فيها كثافة سكانية واضحة لأعداد من المقيمين الأجانب. أدى ذلك إلى مراجعة التسهيلات التي كانت متعلقة بالإقامات، حيث أصبحت السلطات أكثر تشدّدًا في إثبات السكن والإقامة في العنوان المحدّد، كما لم يعد منح الإقامات السياحية لفترات طويلة ممكناً، وإنما تجدّد وفق الحاجة.

من ناحية أخرى، عملت البلديات على دراسة أعداد المقيمين الأجانب، ونسبتهم بالنسبة إلى أعداد السكان، لتعلن لاحقاً قائمة بأسماء البلديات التي لم يعد استخراج إقامة فيها ممكناً للأجانب الذي ينصحون بالتوجه إلى بلديات جديدة من أجل تخفيف التركز المناطقي.

في ناحية منح الجنسية التركية، كان رفع مبلغ الاستثمار العقاري المطلوب للحصول على الجنسية إلى 400 ألف دولار، بعد أن كان 250 ألفاً، التعديل الأبرز الذي أصبح أمراً واقعاً بعد نشره الجمعة الماضية في الجريدة الرسمية.

> بعض التشريعات التركية تحمّل الوافدين والمقيمين وزر كل أزمة اقتصادية

إن كان الاستثمار العقاري هو الوسيلة الأكثر شهرة، إلا أنها ليست الطريقة الوحيدة التي يمكن الحصول بها على الجنسية التركية. وهنا ربما يكون من المفيد التذكير بأن أعداد المتجنسين من السوريين، بشكل استثنائي، وصلت إلى 193,293 ألف شخص، وفق ما أعلنه وزير الداخلية التركي سليمان صويلو. يكتسب هذا أهمية لأنه ينفي أي استهداف من الجهات الرسمية للسوريين، كما تكتسب هذه الإحصائية أهمية مضاعفة إذا ما قارنا تلك الأعداد بأعداد الحاصلين على الجنسية الأوروبية، أو حتى المتمتعين بالإقامة الدائمة في بلدان مثل بريطانيا أو فرنسا أو سويسرا أو غيرها.

فاجأ الإعلان عن رفع القيمة المطلوبة للتجنس الاستثماري الكثيرين ممن كانوا يطمحون في ترتيب أوضاعهم والتقدّم. سوق الاستثمار أن الراغبين في التملك بغرض الاستثمار أو التجنّس لن تثنيهم هذه القرارات الأخيرة التي وإن أثرت على بعضهم، إلا أنها ستكون مفيدة على النحو العام، وهو ما جرى التأكد منه أخيرا حينما أقبلت أعداد جديدة من المستثمرين الروس على السوق التركي، بعد أن استصدر أعمالهم في أوروبا أو الولايات المتحدة مهدّدة نتيجة للحرب الروسية على أوكرانيا، فمن المعروف أن تركيا لا تميل إلى الخلط بين السياسة والاستثمار، وهو ما يجعلها بيئة تجارية آمنة. كل ما سبق لا ينفي أن بعض التشريعات قد تكون متأثرة بالخطاب المعادي للأجانب، والذي يحمّل الوافدين والمقيمين وزر كل أزمة اقتصادية ابتداءً بتدهور سعر الليرة ونهاية بالتضخم أو العطالة. ناخذ في الاعتبار هنا أيضاً أن الانتخابات باتت على الأبواب. ولذلك، من الطبيعي أن تكون الأولوية لإرضاء الناخبين الذين، وإن لم يجتمعوا على رفض الوجود الأجنبي، إلا أنهم يدعمون كل إجراء يهدف لتقنين هذا الوجود وتنظيمه.

(كاتب سوداني)

الانتخابات اللبنانية قضيةً عائليةً أيضاً

دلال البزري

أخرجت الحملة الانتخابية في لبنان ثلاثة استكشافات كوميدية سوداء لا تُنسى. الأول: المرشّح الوريث، أباً عن جَد، يعلن لأنصاره أنه لن يَعِدهم بشيء، لا بتحقيق مطالب ولا أشياء أخرى من هذا القبيل، كما يفعل غيره من السياسيين .. سيكون صادقاً معهم. لن يعِدَهم بشيء، لأنه لو فعل ولم يتمكّن من تحقيق هذه المطالب فلن ينتخبوه ثانية. الثاني: المرشّح الوريث أباً عن جَد، وهي أثناء مهرجان خطابي حاشد، وكراسي مصفوفة ومكبّرات الصوت حولها، يصعد الوريث إلى المنصّة، يتناول ورقة كانت موضوعة على طاولتها، ويبدأ قراءتها، بحماسة من يريد أن يبرهن عن اهتمامه بها. ولكنه بعد لحظات يلاحظ أن هذه الورقة مكتوبة لعريف المهرجان، فيعتذر للجمهور، يسحب الورقة ليسلّمها للعريف، ولتظهر كلمته المطبوعة من بعدها، فيقرأها بنوع من الانشراح، كمن أفلت من مصيبة. الثالث: مهرجان مخصّص لمرشّحة، هي وريثة زوجها المتوفى. عريف المهرجان يلقي كلمته. ولكن ابن الوريثة، المراهق، بهندامه الطائش، يصعد إلى المنصّة، يطرد عريف المهرجان وينتزع منه الميكروفون. ثم يبدأ الكلام، أو بالأحرى التلعثم بالكلام: «أريد أن أقول .. أريد أن أقول .. إنني .. إنني .. هنا الآن .. لأطلب منكم .. أطلب منكم .. أن تصوّتوا .. لوالدتي.... لأنكم .. لأنكم .. إذا صوّتوا .. إذا صوّتوا .. لوالدتي، فتكونوا بذلك .. كأنكم تصوّتون .. لوالدي الراحل .. فلان الفلاني». وعيون أمه شبه الدامعة، تبتسم فخراً وفرحاً.

بوسعك القول إن حملة الانتخابات شهدت تكاثر الورثة الذين يحصلون منذ الصغر على بركة أبائهم وتواريخ ولاداتهم، بأنه مكتوبٌ على أجبنتهم أن يرثوا مقاعد والديهم النيابية. وكله تحت شعارات من نوع: «الوفاء»، «حامل الأمانة»، «صاحب الشعْلة»، «إفادة الوطن»، «استكمال مسيرة النضال»، «دماء الشهيد» .. وغيرها مما لا يُحصى من كلام تثبيت الوريث على عرش المقعد النيابي الذهبي. عدد الورثة مهول، يدور حول نصف أعداد المرشّحين. وربما يكونون أكثر. لأن هناك من يعدّ ابنه، ولم يحن موعد قطافه بعد. وهناك من برث مقعداً عن طريق قرابة ثانوية، أو معقّدة، لا يمكن إحصاؤها على وجه الدقة، إلا ببحث ميداني دقيق. أما «أقنبة» الوراثة، فعديدة: أولها وراثة الأب، الشهيد أحيانا. ومن بعدها، وراثة الأخ، وراثة العم، والخال، وراثة والد الزوجة، زوج الأم، أو الزوج، وهو حيّ، أو ميت. وفي الحالة الأخيرة، إذا كان ابنها، الوريث الطبيعي تحت السنّ، تكون هي الوصية عليه، تحجز مقعده، إلى حين «نضوجه». وإذا لم تنجب من زوجها، فترثه إلى الأبد، حتى وهو على قيد الحياة.

«الفاشلون» من بين هذا النوع من الورثة قلائل. من بينهم كارلوس إدّه، ابن أخي ريمون إدّه، زعيم حزب الكتلة الوطنية، الذي قدم من البرازيل، مشقط رأسه، لاستلام «الأمانة»، لكنه كان حضارياً، لم يتحمّل نفاق السياسيين اللبنانيين وتراثتهم، فطفّش من لبنان، وسلّم الحزب الذي أسّسه عمّه إلى مجموعة من الشباب الطموح. ومن بين الفاشلين أيضاً داني شمعون، ابن كميل شمعون، الذي فشل، في نهاية الحرب الأهلية، بحماية نفسه من الاغتيال بكواتم الصوت، هو وجميع أفراد عائلته، ولم ينجُ من هذه المجزرة سوى ابنة واحدة. حاولت، بعدما كبرت، أن ترثه، ولم تفلح. والورثة يختلفون بالطبائع، والحظوظ، فهناك القدماء من الورثة، وليسوا أمهرهم على كل حال. وهناك الجدد الذين لم يولدوا بعد، أو لا يزالون في الحضانة، أو في طور التدريب، سيتقدّمون على الأرجح في الدورة المقبلة. وثمة استثناءات هنا أيضاً، أهمها «الثنائي الشيعي»، حركة أمل وحزب الله. تمكّنا من طرد الإقطاع السياسي، العريق بتوريثيته، والجلوس مكانه، لم ينجبا ورثةً سياسيين على الطراز اللبناني. وهم يفتخرون بذلك، مطلقين العنان لشعبويتهم، بأنهم «يحبون الشعب».

ولكن مهلاً: ليس لحركة أمل وريث معلّن، رغم تجاوز رئيسها، نبيه برّي، الثمانين من العمر. والسبب صراع كواليسي على الإرث بين ابنه البكر عبد الله وابنه الأصغر باسل. الأول من زوجته الأولى، والثاني من زوجته الثانية رندة. صراع تقوده هذه الأخيرة، لتوريث ابنها باسل. ولم تُحرز فيه أي تقدم. أما حزب الله، فالقرار ليس بيده. القيادة الإيرانية هي التي تأخذه، فتسمّي «الأنجح» في توكيله إدارة مشاريعها الإقليمية. ومع ذلك، عين الجمهور الافتراضي للحزب وريثاً «رمزياً»، يكاد يكون روحياً: إنه هادي نصر الله، نجل حسن نصر الله. وتعليقاته على المواقع الاجتماعية، يذيعها جمهور الحزب، مستحسناً، مهلّلاً، ويعاملها الإعلام بصفتها رسالةً لا يريد حسن نصر الله أن يعلنها صراحةً، فيعهد إلى ابنه تسريبها على أوسع نطاق. ويكفي أن ينزلها هادي نصر الله، حتى تضجّ بها الدنيا. و«الثنائي» أسقط الإقطاع السياسي، وأحياه في آن. وكان هذا الإقطاع يصادر الأراضي، يشغّل الفلاحين عليها بأجور بائسة، يقرّر حياتهم وموتهم. يقهرهم، يجوّعهم، يُحرس، من المهد، أية مبادرةٍ صادرةٍ عنهم، يسلط السيف فوق رؤوسهم، يبتزّهم، يضحك عليهم، يستخدمهم. الفلاحون بإمرته هم في مرتبةٍ وسطى بين العبيد والأقنة (جمع قنّ). والخروج عنه بمثابة التعرّض للجوع والعطالة والموت. وإذا وضعت التوريث في المستويات الدنيا من الأدوار الأخرى: في السلك الديبلوماسي والخدماتي، في الجامعات، في الوظيفة الرسمية أو الأمنية، في الإعلام، والفن والثقافة والرياضة، بحيث يكون المجتمع مراةً أمينةً للنظام الذي يحكمه.

أخيراً: التوريث ممارسةٌ شرعية تماماً، تصونه كل القوانين والدساتير. الآباء، الأمهات، يورّثون أبناءهم، بما جنوه من ثروات أو أراض أو بيوت أو مصانع أو خلي .. إلخ. أي وراثة خاصة، شخصية. ولكن توريث المقعد النيابي، أو أي من المقاعد الرسمية الأخرى، هو استيلاء صريح على أملاك ليست شخصية، إنما عامة، ملك الجميع، فأن يجلس النائب على مقعد برلماني يعني أن أولئك «الجميع» هم مرجعه، لهم فضل عليه، والنيابة ليست من صنعه ولا من صنع جدّه أو أبيه، ولا هي جاريةٌ في دمائه وجيناته (دي. أن. إيه). بل هي من صناعة المجال العام: أي السياسة، والاجتماع والثقافة، وكل ما يتفرّع عنها من مجالات وتفرعاتها. والتوريث، من هذه الزاوية، عملية سطو معلن على هذا الخير العام. فوق السطو على أموال الدولة، أو من قبله. الشطارة في سرقتنا تبدأ من هنا. من عملية السطو الأولى التي نتواطأ معها. بشموعها وأناشيدها.

> توريث الأبناء بخيرات المقعد النيابي من ركائز نظامنا السياسي في لبنان، أي تعديل فيه، من تقنينه، أو منعه، يزلزل الأرض من تحت أقدامه

يقف خلف هذه الديمومة؟ في الاستكشاف الثلاثة المذكورة آنفاً، على أثر كل «زلّة» ارتكبها الوريث المرشّح، أو الذي سوف يترشّح بعدما يبلغ العمر «المناسب» .. كان الجمهور، في كل اللقطات، يصفّق بحرارة وإصرار، للوريث الغلْطان، يشجّعه، يدعو له بالفوز بالمقعد المزنجي. ولا واحد منهم فكّر بأنه بتصديقه على نوع كهذا من المرشحين، إنما يديم النار المشتعلة في جهنمه. بعفوية، بحماسةٍ منقطعة النظير، يغطّي هذا الجمهور على زلّات ابن زعيمه المفدّى، كما سيغطي هذا الابن على ارتكاباته، بعد أن «ينجح». وهنا بيت القصيد. الجمهور المبهور بالوريث المتعثر، أو «المسْتَلْشق»، أو المراهق البسيط .. هو على علاقةٍ تعاقديةٍ مع الوريث. وبديله، الضعيف، القادم من سلالةٍ لم تحفر اسمها في «التاريخ» .. لن يكون بقوة الذي سوف يغطّي على مرشّح يتمتع بهذه الدرجة من «الأصالة».

وهنا لا أتكلم فقط عن فئاتٍ رثّة، أو جاهلة، إنما عن شرائح بعينها، متوسّطة الحال، هي على الأرجح الأكثر حماسة للتوريث السياسي، لأنه هو الميل الرائج، أي الأنجح. ويصبح التوريث بذلك ممارسة مقبولةً في المستويات الدنيا من الأدوار الأخرى: في السلك الديبلوماسي والخدماتي، في الجامعات، في الوظيفة الرسمية أو الأمنية، في الإعلام، والفن والثقافة والرياضة، بحيث يكون المجتمع مراةً أمينةً للنظام الذي يحكمه.

أخيراً: التوريث ممارسةٌ شرعية تماماً، تصونه كل القوانين والدساتير. الآباء، الأمهات، يورّثون أبناءهم، بما جنوه من ثروات أو أراض أو بيوت أو مصانع أو خلي .. إلخ. أي وراثة خاصة، شخصية. ولكن توريث المقعد النيابي، أو أي من المقاعد الرسمية الأخرى، هو استيلاء صريح على أملاك ليست شخصية، إنما عامة، ملك الجميع، فأن يجلس النائب على مقعد برلماني يعني أن أولئك «الجميع» هم مرجعه، لهم فضل عليه، والنيابة ليست من صنعه ولا من صنع جدّه أو أبيه، ولا هي جاريةٌ في دمائه وجيناته (دي. أن. إيه). بل هي من صناعة المجال العام: أي السياسة، والاجتماع والثقافة، وكل ما يتفرّع عنها من مجالات وتفرعاتها. في ميزان القوى إذا ما تجاوزت النخب الفلسطينية، بمختلف أطيافها الفكرية والسياسية، انقساماتها، ونجحت في التوافق على مشروع وطني جديد، يستوعب المتغيرات الإقليمية والدولية، ويعيد بناء أولوياته في ضوء الانقلاب النسبي الذي يشهد الرأي العام الدولي ضد إسرائيل، وهو ما بات يشكّل تحدّياً وجودياً بالنسبة للمشروع الصهيوني.

(كاتبة لبنانية)

كاريكاتير عماد حجاج

لِمَ قتل الصهاينة شيرين أبو عاقلة؟

علاء أبو عامر

قتل الجنود الصهاينة الصحافية الفلسطينية شيرين أبو عاقلة، التي غطت في قناة الجزيرة عقدين أحداثا عديدة في فلسطين باحترافية مهنية، حتى أصبحت أيقونة إعلامية استحقت الاحترام والتقدير والثناء، وتوّجت بعد مقتلها بوسام نجمة القدس أحد أرفع الأوسمة الفلسطينية من الرئيس الفلسطيني محمود عباس. وشُيّعت كما يشيع الرؤساء والزعماء في جنازة، تنقّل نعشها من جنين حيث سقطت برصاص قناص صهيوني، إلى نابلس حيث شُرّح جثمانها، إلى رام الله حيث شيعت بجنازة رسمية مهيبة، وحمل نعشها الجنود الفلسطينيون تكريماً لها، ومنها إلى القدس عاصمة فلسطين الأبدية حيث مسقط رأسها ومرابع طفولتها ومدارسها وشبابها وأحيائها، حيث تتاخى الكنائس مع المساجد؛ كنيسة القيامة مع المسجد الأقصى لترسم واقعًا فلسطينيًا كان على مر العصور التاريخية شعب الأخوّة والتسامح والتعايش الفريد بين العقائد والفلسفات والأديان والثقافات دون تمييز. مع الاعترافات المتدرجة لسلطات الاحتلال الصهيوني التي وصلت إلى حد الاعتراف الصريح بالقتل غير العمد، عبر تسريبات مدروسة للصحافة الصهيونية والأميركية، والإصرار الفلسطيني الذي أنهى تحقيقاته القانونية بتحميل العدو الصهيوني مسؤولية القتل عامدًا متعمّدًا من جهة أخرى، تقفّ علامات استفهام كثيرة باحثة عن الغرض من الاغتيال: فإن كان القتل عمدًا فلماذا؟ وما هي مصلحة الصهاينة في قتل صحافي/ صحافية تعمل في وسيلة إعلام عربية - دولية ذات مشاهدة عالية قد تؤلب على دولة الاحتلال الدنيا، وقد عُرفت «الجزيرة» بأنها قناة إعلامية وفية لمراسليها وموظفيها. لكن يُمكن لسؤال أن يأخذ مسارًا آخر: هل القتل استهدف شيرين أم استهدف قناة الجزيرة التي تنقل بالصوت والصورة الأحداث العالمية، ومنها الحدث الفلسطيني، وقد سبق ودمر الصهاينة مكاتب القناة في قطاع غزة، في عملية شاهدها العالم كما حدث مع شيرين عند مقتلها في جنين؟ هل تريد دولة الصهاينة قتل الشهود حتى ترتكب جريمة كبرى من دون شهود ذوي قيمة كقناة الجزيرة؟ هل كان الهدف إذًا المحطة الشهيرة أم شيرين فقط؟ مع ذلك، عندما نجحل من شيرين أبو عاقلة الهدف ننسى أن زميلها المنتج علي السمودي، المنتج الإعلامي في قناة الجزيرة أيضًا قد أصيب معها في المكان نفسه، وما زال يرقد في المستشفى.

هل يجوز طرح الأسئلة وفق هذا الشكل، أم هناك خطأ في الصياغة يُمكن معالجته بتوسيع إطار السؤال ليصبح: لماذا يستهدف الرصاص الصهيوني الإعلام؟ كون شيرين وعلي ليسا السابقة، فهذا نهج صهيوني متأصل في عقلية كيان منذ أنشاه الغرب في بلاد العرب وهو يرتكب كل أشكال التغطية على الحقائق، حتى لا تُنزع عنه صورة الضحية وتتنكشف حقيقته دولة إجرام وتطهير عرقي ودولة فصل عنصري كما بات معروفًا اليوم وبتقارير محايدة من منظمات حقوق الإنسان العالمية، كمنظمتي العفو الدولية، وهيومن رايتس ووتش، وحتى منظمة بتسليم الإسرائيلية. الأمر الذي كان معروفًا منذ نشأتها، وما قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1975 الذي وصف الصهيونية بأنها حركة استعمارية عنصرية إلا تقييم متقدم من دول العالم لطبيعة الصهيونية العالمية وأهدافها، فلبّ أن تتخلى الأمم المتحدة عن هذا القرار في 1991. إذًا لماذا قتلت شيرين وأصيب علي؟ ربما لا توجد إجابة يقينية، لكن المؤكد أنه، على الرغم من كل الانتقادات التي تُوجّه إلى قناة الجزيرة، لإفساحها المجال للرأي الآخر الصهيوني كي يمرّر أكاذيبه وفبركاته على المشاهد العربي، وهذا ما يحسب عليها، إلا أن «الجزيرة» مثلت، وعلى مدار مسيرتها من خلال معظم مذيعيها ومراسليها، صديقًا وداعمًا للحق الفلسطيني، وما التغطية الأخيرة للحرب على غزة عام 2021 وما رافقها من انتفاضة الشعب والمد وحيفا والمثلث التي أوصلت الجزيرة تفاصيلها بلحظاتها إلى العالم عبر قنواتها العربية والإنكليزية إلا أسبابا مباشرة للقول إن الجزيرة وشيرين أبو عاقلة ووليد العمري وجيفارا البديري ونجوان سمري، ومن خلفهم ومعهم من طاقم محترف ومهني، مستهدفون جميعًا. لم تخرج الرصاصة القاتلة بشكل عشوائي أو خاطئ من بندقية قناص صهيوني محترف، بل انطلقت، على الأرجح، بأوامر من أعلى الهيئات القيادية الاحتلالية في وزارة الجيش ورئاسة وزراء دولة الاحتلال، فاغتيال بهذا الشكل لا يتقرّر ميدانيًا، بل بأوامر عليا في الدولة الصهيونية.

> اتّهمت شيرين عملها الصحافي بكل مهنية كما يليق بإعلامي ان يكون

مثلت شيرين مع زميلتها جيفارا البديري ونجوان سمري ثلاثيا متقدّما في نشر الحقيقة، في حي الشيخ جرّاح وسلوان وباب العامود والأقصى وفي كل بقعة من ثرى فلسطين في الضفة الغربية والداخل المحتل، وإذا كان النضال بالرصاص هو الأجدى كما يقال، فإن نضال الكلمة والصورة في أيامنا يوازيه. اتّفقت شيرين عملها الصحافي بكل مهنية كما يليق بإعلامي أن يكون، وفي كل واحدة من رسائلها الإخبارية كان نبضها فلسطينيًا ووطنيًا، لذلك تستحق أن يُطلق عليها لقب أيقونة فلسطينية.

(كاتب فلسطيني)

ما بعد هزيمة إيران في لبنان والعراق

ياسر أبو هلالة

لم ينظر العالم العربي والاسلامي، بأكثريته السنية، إلى نظام الجمهورية الاسلامية في إيران نظرة طائفية. كانت النظرة إلى الخميني قائدا ثائرا على ظلم الشاه وعلى الهيمنة الغربية والنفوذ الصهيوني. ورغم مرارات الحرب العراقية الإيرانية والتواطؤ مع حصار العراق والحرب عليه، ومساهمتها السيئة في الاحتراب الطائفي فيه، تمكّنت إيران من تحقيق شعبية جارفة في العالم العربي والإسلامي، بعد حرب تموز في لبنان في 2006، بعيدا عن الانقسام الطائفي.

تراجعت تلك الشعبية، وربما تلاشت، نتيجة سياسات الغطرسة الطائفية التي ما تزال إيران تصرّ عليها. وكشفت الانتخابات في لبنان، وقبلها في العراق، مدى الغضب عليها، حتى في أوساط الشيعة والحلفاء، فإيران تتعامل مع المنطقة، شيعة وسنة، بعقلية التبعية وبطائفية فجّة، بعيدا عن مفهوم الأمة الواحدة والوطن الجامع. تعاملت مع اللبنانيين بعيدا تماما عن فكرة الوطن الجامع، هي التي تقرّر من يقود البلد، من يقود المسيحيين ومن يقود السنة. تحالفت مع ميشال عون على حساب خصومه من «القوات اللبنانية» وغيرهم، وساهمت في تدمير زعامة الحريري، من اغتيال الأب. كما كشفت التحقيقات الدولية، وصولا إلى محاصرة سعد الحريري وصناعة زعامات سنيةٍ منافسةٍ له.

مارس حزب الله استقواء على السنّة، تجاوز بيت الحريري، فقلّ أن تجد سنّيا في لبنان لا يحمل مخزون غضب على الحزب، ساهمت تلك السياسات الطائفية في تحوّل عدد من شباب السنة الغاضب إلى «داعش» وأخواته، رغبة بالانتقام، وبحثا عن الكرامة المهدورة. وعلى الرغم من دعوات الحري

أي مضمون «للحوار الوطني» في مصر؟

شريف هلالي

تثير دعوة «الحوار الوطني» التي أطلقها النظام المصري أخيراً، ولا تزال، جدلاً كثيراً. وفي الغالب، بدا موضوع الحوار عامّاً ومبهماً، ولم تتحدّد القوى الأساسية الموجهة إليها هذه الدعوة، وآليات تنفيذها. ويلفت النظر توقيت الدعوة، والتي جاءت في ظلّ الانتقادات الدولية للملف الحقوقي، وأزمة اقتصادية طاحنة، إلى جانب تزايد الغضب الشعبي لمسار النظام وخياراته بزيادة القروض الدولية، وبيع الأصول، وهو ما زادته سوءاً التداعيات الاقتصادية للحرب الروسية في أوكرانيا. وتجاوبت أحزاب من التيار الديمقراطي والحركة المدنية الديمقراطية مع الدعوة، ودعت الأخيرة إلى عقده تحت رعاية الرئاسة، ووجود تمثيل متساوٍ لطرفي الحوار وبث الجلسات من خلال وسائل الإعلام، غير أن أهم التساؤلات البارزة من القوى السياسية المختلفة تتناول مدى جدية هذا الحوار ونتائجه ومآلاته، ومدى نجاحه في ثني النظام عن مواقفه الحالية في بعدها السياسي والاقتصادي. وهناك ملاحظات جوهرية يمكن إبداؤها على هذه الدعوة أهمها:

أولاً: لم يجر الإعلان عن أي إطار نظري يوضح أسباب الدعوة وأجندة الحوار والجهات المدعوة إليه، وخلفياته والقضايا التي ستناقش خلاله وكيفية تنفيذ مخرجاته، وكيفية القبول بهذه المخرجات إنْ من خلال التوافق العام، أم باللجوء إلى التصويت؟ وهل هناك إرادة سياسية من النظام لتنفيذ حد أدنى من مطالب الجهات المشاركة في الحوار؟

وفور الدعوة إلى هذا الحوار، بدا أنّ ثمّة تناقضات تتعلق بالجوانب الإجرائية المتعلقة فيما يخصّ الجهة المنظمة له، إذ أوكل الخطاب الرئاسي سكرتارية مؤتمر الشباب لتنظيمه، ثم أوكلت لاحقاً إلى الأكاديمية الوطنية لتدريب الشباب، وهي جهة أنشئت بقرار من رئيس الجمهورية، وتتبع له شخصياً، لكنّ مهمتها تتركّز على الجانبين، الفني والإداري، بتدريب الشباب لتولي المواقع القيادية في الدولة. ويعبر هذا التناقض عن وجود تصوّرات مختلفة تقف وراءها الأجهزة الأمنية المتنفذة. كما لاقى اختيار «الأكاديمية» انتقاداً كبيراً من بعض الأوساط، لأنّها جهة غير سياسية، مفضّلين تفويض جهة أخرى ذات طابع سياسي لتقوم بذلك، مثل مجلسي النواب أو الشيوخ أو رئاسة الجمهورية ذاتها، ليعكس ذلك أهمية مخرجات الحوار وتطبيقاتها. كما يحمل تكليف جهة إدارية وتكنوقراطية بهذه المهمة تقليلاً من الدعوة، ورغبة ضمنية في تفليص طموحات المشاركين، وعدم الالتزام بمخرجاتها مستقبلاً، ورغبة في عدم إضفاء الطابع السياسي أو الحزبي على مجريات الحوار. ويشير التاريخ السياسي المصري إلى ندرة قيام الدولة بتغيرات سياسية كبيرة نتيجة حوارات بين النظام والأحزاب السياسية، بل بالعكس جاءت القرارات السياسية المهمة طوال حقبتي أنور السادات وحسني مبارك من الرئيس مباشرة، وأبرزها تعديل المادة 76 من الدستور التي فتحت الباب لأول انتخابات رئاسية تعدّدية عام 2005، وذلك بتأثير ضغوط دولية وأميركية وقتها، وهو ما أدّى إلى فوز جماعة الإخوان المسلمين في العام بأكبر وجود برلماني لها منذ بدء الحياة النيابية. ودائماً ما كانت تُستخدم جلسات أي حوار حكومي مع أحزاب المعارضة لإضفاء الشكل على المبادرات الرسمية التي كان يجرى تبنّيها مسبقاً أو تمهيداً لها. ثانياً: يأتي السؤال الرئيسي بشأن مضمون الدعوة التي سمتها الرئاسة «حواراً سياسياً حول أولويات العمل الوطني»، ووصفه بالوطني ليست مصادفة، فهل يعني حواراً سياسياً حقيقياً بين أحزاب المعارضة وممثلي السلطة في قضايا معينة تراها الأخيرة من الأولويات، وبالتالي يقتصر على مناقشة آثار السياسات الحالية التي تتبنّاها الدولة وعلاجها، وقد لا يمتد إلى طرح تطبيق سياسات بديلة، وهو ما يشير إليه ضمنياً بيان رئيس الوزراء عن تبنّي السياسات الاقتصادية نفسها، المرفوضة شعبياً على مدار أربع سنوات مقبلة، والتي لم تنتظر مخرجات الحوار!

> عدم وضوح الخلفية السياسية وأجندة الحوار والجهة المنظمة له وتنفيذ مخرجاته يؤكد مخاوف من توظيفه لأغراض أخرى

ثالثاً: يبدو مأخذ آخر يتعلّق بتكليف جهة غير سياسية بالإشراف على دعوات الحوار وشخوصه، وبالتأكيد سوف تحدُث ضغوط من الأجهزة الأمنية المسيطرة على الأكاديمية في صياغة مخرجاته، وبذلك لا يضمن أحد صياغة هذه المطالب، بحيث تعرض وجهات النظر المعارضة، وبالتالي بإمكانية تنفيذ مطالبها، وهذا ما يؤدّي إلى تساؤل آخر يتعلّق بمدى القوة التي تتمتع بها أحزاب التيار الديمقراطي لإجبار الدولة على تنفيذ جزء من مطالبها البسيطة. رابعاً: يحمل النهج الخاص بتوسيع ساحة الحوار لأكبر فئةٍ ممكنةٍ من مختلف الهيئات والأشخاص مخاطر عدة، أهمها تهميش وجهات النظر المعارضة للسياسات الحالية، فضلاً عن صناعة أشكال أخرى مؤيدة لسياسات النظام واستدعائها لحضور الحوار جنباً إلى جنب مع ممثلي التيار الديمقراطي.

والسؤال الأهم يتصل بمدى توافر إرادة سياسية حقيقية للنظام بتبنّي بدائل سياسية مختلفة، وهو المعروف بأنه لا يكترث بوجهات نظر المعارضة طوال السنوات الماضية، والشواهد واضحة، فلا يريد النظام القيام بمطالب الحد الأدنى الضرورية قبل عقد مثل هذا الحوار، بالإفراج عن كل سجناء الرأي وتعديل نظام الحبس الاحتياطي المطوّل، ووقف سياسات التدوير، وتقييد حريات الرأي والتعبير والتي لا تحتاج حواراً أو تفاوضاً حولها.

الخلاصة أنّ عدم وضوح الخلفية السياسية وأجندة الحوار والجهة المنظمة له وتنفيذ مخرجاته وطبيعته السياسية يؤكد مخاوف من توظيفه لأغراض أخرى، من دون تحقيق الأهداف التي تسعى إليها المعارضة المصرية.

(كاتب مصري)

جنازات الشهداء والصراع على هوية القدس

نهاد أبو غوش

مثّلت جنازة الصحافية الشهيدة شيرين أبو عاقلة لحظة فارقة في تاريخ الصراع على مدينة القدس وهويتها ومستقبلها السياسي، إذ برز الحضور الجماهيري الفلسطيني غير المسبوق في كثافته وتصدّيه البطولي للاحتلال، وما قابله من قمع همجي طاول النعش والمشيعين من الأجهزة الأمنية والشرطية الإسرائيلية. لكن النتيجة التي ظهرت للعالم أجمع تمثّلت في التحرير الرمزي للقدس، وفرض السيادة الشعبية الفلسطينية، ولو مؤقتاً، حيث فشلت الترسانة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية في إحكام سيطرتها على المدينة، أو على طوفان المشيعين الذين تدفقوا من كل حدبٍ وصوب، فأثبتوا أن هوية المدينة كانت وما زالت عربية فلسطينية بطابعها الإسلامي المسيحي.

تُذَكِّر جنازة شيرين بجنازات تاريخية مشابهة شهدتها القدس خلال العقود السابقة، ومنها جنازة القائد الشهيد عبد القادر الحسيني في إبريل/ نيسان عام 1948، وجنازة الشهيد عمر القاسم الذي كان يلقب مانديلا فلسطين في يونيو/ حزيران 1989، وجنازة فيصل عبد القادر الحسيني في مايو/ أيار 2001، وكلها كانت في القدس، بالإضافة إلى جنازتي الزعيم ياسر عرفات والشاعر محمود درويش في رام الله، من حيث الحجم والمشاركة الجماهيرية الغفيرة. ولكن الوداع المؤثر لأيقونة الصحافة الفلسطينية تميّز عن سواه بالتصدّي الشجاع لعنف الاحتلال، وحجم ما اكتنزه المشهد المهيب من مشاعر وشحنات وطنية وعاطفية وإنسانية، تُكثِّف الألم والأحزان والقهر، فتجمعها إلى المظالم الفلسطينية المتراكمة مع الإرادة والتصميم والتحدّي، والحبّ الجارف الذي يكنّه الفلسطينيون لرموزهم ولمن يعبّر عنهم، فتحوّلت الجنازة معركةً حقيقيةً وشاملةً مع الاحتلال.

جاءت جنازة شيرين في ذروة هجوم إسرائيلي شامل على مدينة القدس وسكانها وهويتها الوطنية وطابعها التاريخي التعدّدي الذي عرفت به. ويمكن تعريف هذا الهجوم بأنه مشروع تهويد مدينة القدس وأسرلتها، وهو بدأ مع احتلال القدس الشرقية عام 1967، وتسارع بعد اتفاق أوسلو واستقرار حكم اليمين في إسرائيل، ثم اتخذ قوة دفع هائلة مع إعلان صفقة ترامب نتنياهو، وما رافقها من انخراط دول عربية في مسلسل التطبيع، واستعدادها لإقامة علاقاتٍ دبلوماسيةٍ وثيقة مع إسرائيل، على الرغم من كل ما تفعله في القدس ذات المكانة المميزة في وجدان مئات ملايين العرب والمسلمين والمسيحيين. كما جاءت الجنازة في لحظة ضعف فلسطينية عنوانها الانقسام، وتجلياتها اليومية تتمثل في الفجوة الآخذة في الاتساع بين الأداء القيادي الرسمي والفعل الميداني، سواء الفردي أو الجماهيري، بالإضافة إلى غياب الاستراتيجية الكفاحية الموحّدة لمختلف الفصائل والقوى السياسية الفلسطينية.

يميل محللون إسرائيليون إلى القول إن غباء حكومتهم عبر التصدّي للجنازة والنعش، ساهم في انتصار الفلسطينيين في معركة الصورة والرواية، وذلك ما ردّده كل من ناحوم بارنيع وإيتامار ايختر وجدعون ليفي، وأسرة تحرير صحيفة هآرتس وغيرهم ممن وصفوا ما جرى بأنه «جنون مطبق» أو «وصمة عار». ولكن ما يستبعد رواية الغباء هذه أن السلوك الإسرائيلي الوحشي جرى بمشاركة أجهزة شرطية وأمنية عدة، ما يكشف أن ثمّة قراراً سياسياً حاسماً بهذا الاتجاه اتخذته الحكومة ونفذته الأجهزة الأمنية من دون تردّد.

يتأكد هذا السيناريو من خلال معاودة التعرُّض لنعش الشهيد وليد الشريف ومشيعيه بعد يومين من جنازة شيرين، والمواجهات التي وقعت في قلب القدس ليلة 16 و17 مايو/ أيار الحالي، وأسفرت عن إصابة أكثر من سبعين فلسطينياً وستة أفراد من الشرطة الإسرائيلية، واعتقال نحو مائة شاب وفتاة فلسطينيين، ثم الدعم المطلق الذي قطعه رئيس الوزراء الإسرائيلي، نفتالي بينت، لجنوده حين صرح خلال تفقده وحدات عسكرية جنوب نابلس متحدّياً سيل الإدانات بشأن إعدام شيرين، بأن «كل من يرفع يده على قواتنا في القدس أو يهودا والسامرة (الضفة الغربية) قدمه مهدور».

واضحٌ إذن أن السلوك الإسرائيلي هو أبعد من الغباء وسوء التقدير، وما وقع في الجنازات لا يمكن فصله عما جرى من مواجهات واقتحامات للمسجد الأقصى ومشروع فرض التقسيمين الزماني والمكاني، فالموضوع يرتبط بمحاولات إسرائيل فرض سيادتها الكلية على القدس بوصفها «عاصمة إسرائيل الموحدة والأبدية»، ما ينعكس على تفاصيل الحياة اليومية في مدينة القدس، ويشمل محاولات أسرلة المناهج والتعليم، وفرض أسماء عبرية على الشوارع والمعالم التاريخية والمرافق العامة، وإعادة تنظيم شبكات الطرق بما يحوّل الشطر الشرقي من القدس إلى «ضاحية» شرقية ضمن الحاضرة الكبرى للقدس الموحدة (متروبوليتان)، والمشروع المعلن لخفض نسبة السكان الفلسطينيين في المدينة من حوالي 40% حالياً إلى ما دون 20%، وذلك من خلال إخراج أحياء فلسطينية كثيفة السكان كمخيم شعفاط، وضم تجمّعات استيطانية قريبة هي أشبه بمدن وضواحٍ مجاورة، مثل معاليه أدوميم وبسغات زئيف، والمستوطنة الكبرى التي يجرى التخطيط لها حالياً شمال القدس في موقع مطار قلنديا.

> محاولات فرض السيادة الإسرائيلية الصارمة في القدس تُظهر ضيقاً هستيرياً بأيّ مظهر من مظاهر الحضور الفلسطيني

محاولات فرض السيادة الإسرائيلية الصارمة تُظهر ضيقاً هستيرياً بأيّ مظهر من مظاهر الحضور الفلسطيني، حتى لو كان رفع راية أو ترديد هتافات، أو ارتداء الكوفية، أو تولّي المقدسيين مناصب قيادية في السلطة الفلسطينية، مثل محافظ القدس ووزيرها وأعضاء مجلسها التشريعي الذين سحبت إقامتهم في القدس وأُبعدوا للضفة. وتبدو أيدي السلطة الفلسطينية مُكَبّلة وعاجزة عن توفير مقوّمات ومتطلبات التصدّي لهذه الخطة التهويدية الواسعة التي تتحد في تنفيذها سلطات الاحتلال بكل أدواتها من حكومة وبرلمان (كنيست) وجهاز قضائي وبلدية وجمعيات للمستوطنين، بل هي تبدو عاجزةً عن حل مشكلة أبسط من ذلك بكثير، وهي توحيد المرجعيات الفلسطينية في المدينة، بما يساهم في إعادة تنظيم العملين السياسي والمؤسسي. كما أن الجهات الدولية وحتى العربية المانحة، باستثناءات قليلة، ترضخ لشروط إسرائيل بمنع تمويل مشاريع القدس ومؤسساتها، استناداً إلى بنود في اتفاق أوسلو تمنع السلطة الفلسطينية من القيام بأعمالٍ من شأنها التأثير على الوضع النهائي للمدينة!

وحدهم المقدسيون من يدافعون عن هوية المدينة وطابعها الإسلامي - المسيحي، وهم مجرّدون من كل مقومات الصمود والتصدّي، ما عدا تلك العوامل التي تضطرم في قلوبهم ووجدانهم، مع أن فرصةً موضوعيةً عظيمة تهيّأت لشن هجوم معاكس على مشاريع أسرلة القدس وتهويدها.

(كاتب وناشط فلسطيني)

روسيا بلا نصر في أوكرانيا

شفان إبراهيم

نجحت أوكرانيا في تمييع مخطط إعلان انتصار روسيا عليها، ليخرج خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين من دون الإعلان عن أيِّ انتصار، لتصبح واجهة الخطاب متقلب التوقعات والتوجهات. في الشرق تعودنا أن تعلن كل الأطراف المتصارعة والمتحاربة النصر وهزيمة الخصم، لكن الحال بين الرئيسين بوتين وزيلنسكي والدول الأوروبية مختلفة الشكل والمحتوى؛ حيث عجز الرئيس الروسي فلاديمر بوتين عن إعلان النصر على من يصفهم بالنازيين الجدد، في يوم نصرهم على النازية وسقوط برلين وهزيمة الرايخ الرابع. ويبدو أن الانتصار الأبرز لروسيا في يومهم التاريخي لن يخلو من ذكريات المجازر ضد الأوكرانيين في ماريوبول وتحويلها إلى أرض محروقة لا تصلح للاستقرار حالياً، وفشلهم في السيطرة على مصنع أزوفستال قبل الاحتفال باستحياء، إذ لم يقتنصوا سوى نصر مزيف لم يعوض هزيمتهم الفاضحة. التغني بماضي الاتحاد السوفييتي في لحظة حرب معاصرة ربما يعتبره كثيرون نقطة الفصل في معرفة حجم الهزيمة التي منيت بها روسيا حتى الوقت الراهن. لم يأت الخطاب الذي استمر 12 دقيقة فحسب على ذكر إعلان النصر أو التعبئة الشعبية ولا التهديد بالنووي، ولم يبد أي إشارات إلى أي تغيرات في أخطر وأعمق أزمة للسياسات الخارجية الروسية وما تؤديه من انعكاسات داخلية وامتداد على أغلب الدول. تقف أربعة عوامل منع وراء ذلك، أولها: فقدان مزيد من القتلى ضمن صفوف القوات الروسية ونسبة ضخمة من المعدات المعطوبة والسلاح الثقيل المدمر، وثانيها: الرغبة في عدم استفزاز الأوروبيين والأميركيين في إعلان نصره على أوكرانيا، وثالثها: الابتعاد عن إعلان النصر أو الحرب، كي لا يجيب عن الأسئلة الأكثر أهمية: ماذا حصل طوال الأيام الماضية إذاً؟ هل العمليات الخاصة ضد كييف انتهت أم لم تكن قد بدأت بعد؟ وهذا ما سيعني اعترافات بالهزيمة، رابعها: الرغبة في إظهار الخطاب شكلاً راقيا جداً للاتزان السياسي، باحثاً عن أيِّ فرصة لإسقاط العقوبات الغربية والأميركية على بلاده، وهو الساعي إلى مزيد من المكاسب في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز ومنطقة البلقان.

ويبدو أن روسيا استشعرت، ولو أخيرا، حجم الخراب الذي أصابها والعالم كله اقتصادياً وأمنياً بسبب الحرب. أمام هذه اللوحة، وجد الرئيس الروسي ضالته بالتوجه صوب الخطاب الشعبوي، مستحضراً سرديته حول حماية الأمن القومي والأمة والوطن الروسي، والمقارنة بين حربه اليوم ومجريات الحرب العالمية الثانية وتشبيهه الأحداث آنذاك باستعدادات أوروبية لحرب ضد الشعب الروسي. في المقابل، تتصرف أميركا ودول الاتحاد الأوروبي وكأن روسيا تتجرّع هزيمة نكراء قاسية، تمنعها من فرض أي شروطٍ للتسوية أو المصالحة، فوزراء خارجية ودفاع ومسؤولين وقيادات وازنة ومعتبرة من الصف الأول لدول الاتحاد الأوروبي وبريطانيا وواشنطن يتجوّلون في شوارع كييف؛ كرسائل دعم واضحة. ويبدو أن تحصيل 2,6 مليار دولار من الدعم الأميركي والمزيد وكثير من التغير الملحوظ في العتاد العسكري من الأوروبيين للدفاعات الأوكرانية، تعتبر تغيرات ملحوظة في خطاب قادة دول «الناتو» تجاه أول وأخطر حرب من هذا النوع تشهدها القارة الأوروبية منذ الحرب العالمية الثانية، لتدخل ضمن خانة أن فوز كييف على موسكو من الخيارات الاستراتيجية لحلف الناتو.

وفي مقاربة خطاب بوتين الذي قال إن بعض أهداف العملية العسكرية تحقق، وإن روسيا دافعت عن أراضيها بوجه خطر غزو قادم، وأن كييف ودول «الناتو» كانوا يتحينون الفرصة المناسبة للانقضاض على أراضيها التاريخية، خلافاً لأقواله السابقة حول حاجة روسيا إلى القليل جداً من الوقت للقضاء على عيش الأوكرانيين بسلام، وإنهاء العملية العسكرية في أوكرانيا، فإذا كانت الحسابات العسكرية لموسكو لا تحتاج سوى بضعة أيام للزحف صوب كييف، فكيف لدولةٍ تسعى إلى ثنائية أقطاب العالم أن تخطئ في حساب التوازنات العسكرية وموازين القوة والفوز والخسارة، ثم يلجأ رئيسها إلى شعبوية الحديث الرسمي لمخاطبة المواطن الروسي، والتذكير بأن سبب مشاركة المقاتلين الدونباسيين إنما من أجل وطنهم الأم.

> تتصرف أميركا ودول الاتحاد الأوروبي وكأن روسيا تتجرّع هزيمة نكراء قاسية

يبدو أن الشعبوية مستمرّة في خداع عقل المستمع، فبعد عقود من انتهاء الحربين العالميتين والحرب الباردة، عادت قضية تأكيد سيرورة اللامنطق وعقل الإلغاء، وهو يذكّر بما جرى في سورية من قتل ونفي وتشريد، وتدمير للبنية التحتية التي تحتاج عقودا للترميم، وصدام حسين الذي سحق الكرد والشيعة ونكّل بهم، وعاث الحوثيون فساداً في اليمن وأعادوها عقوداً عديدة إلى الخلف، وإيران تتحكم بجملة من العواصم العربية، وتركيا تسيطر على شمال غرب وأجزاء من شمال شرق سورية، وبعض الإسلام السياسي مستعد لفعل أي شيء، بما فيه إراقة الدماء. يفعل كل هؤلاء كل المحظورات والمجازر والكوارث باسم أمنهم القومي، حيث لا قوميات نالت حقوقها، ولا شعوب استراحت من هوس أنظمتها وتعطشها للتمدّد والتوسع، ولا أمن قوميا أو وطنيا في تلك الدول، ويبقى الشعار الأبرز المرفوع في وجه الشعوب لقمعها أو لتبرير كوارث الخيارات الخارجية وكسلاح فتاك في وجه رغبة العيش الكريم، «حماية الأمن القومي».

(كاتب سوري)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد
(Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611442047 - 009611567794
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: +97440190635 جوال: +97450059977
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads